2022

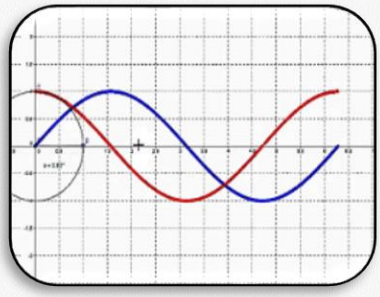

تدبُّر آية

ابوالحسن الحنّاوى

الآيــة

قال ﷻ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾. آل عمران ١٤٠

التفــاسير

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾. يعني: إنْ يمسسكمْ القتلُ والجراحُ ، يا معشر أصحابِ محمد ﷺ ، فقد مسَّ القومَ من أعدائكم من المشركين قرحٌ مثله.

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾. يعني : أيام موقعةِ بدرٍ وموقعةِ أحُدٍ ، نجعلها دُوَلا بين الناس أي نصرِّفها للنّاس، نجعُلها يومًا لكم ويومًا عليكم، وإنما ذلك للإبتلاء والتّمحيص ، ويعني بـ" الناس" المسلمين والمشركين.

﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾. ليُكْرم منكم بالشهادةِ ، مَنْ أراد أنْ يُكرمه بها.

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾. يعني بها الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم.

قاعدة فقهية هامة

[العِبرةُ بعمُومِ اللّفظِ لا بخصوصِ السَّبَبِ]

نستفيد منها أنَّ:

سُـنَّةُ اللهِ في الخـلق أنْ يَجـعلَ الأيامَ دُوَلاً مُصرَّفةً بينَ النَّاسِ ، مُؤمنِهم وكافرِهم ، بغرضِ الإبتلاءِ والتَّمحيصِ .

أمثلة من التاريخ

- انتصارُ المسلمين في موقعة بدر على الشركين رُغم قلة عددهم وعتادهم ، ثم تغلّب المشركين عليهم في موقعة أحد.
- توسع المسلمون في الفتوحات وكانت لهم الغلبةَ على كلّ من خالفهم ففتحوا القسطنطينية وحرروا الشام وفلسطين وبيت المقدس وفتحوا الأندلس، ولأسباب عديدة فقدوا للاسف الكثير من الرقعة الإسلامية وسقطت هيبتهم وتجرأ أعداءُ الله وأعداؤهم عليهم وعلى معتقدهم.
- كان بالعهد القريب قطبان عالميان قويان ، تفكك أحدهما وتعاظم الآخر فصال وجال وظلم وأفسد ، فإذا بتعافي القطب المُفكك ليُكشّر عن أنيابه ويتهدّد ويتوعّد ، وصار القطب المتعاظم وَهِنٌ ضعيفٌ يُثرثر على حذر
- المملكة العظمي والتى كانت لا تغرب عنها الشمس ، أين هي الآن؟

أمثلة من الحياة

- كم سمعنا عن أبناء في زهرةِ حياتهم وعنفوانِ شبابهم كانوا بما رزقهم الله مغرورين ، عقّوا والديهم ، أوتعدّوا على حقوق أرحامهم ، وجدناهم تجرّعوا من نفسِ كأس المُرّ الذي سقوه لغيرهم.
- قصص مكايدِ الزّوجات لحَمواتهن أوالعكس ، والتي تُبرز معني الآية الكريمة ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ بإنتقام الله من الظالم بعدله.
- قَصص الغيرةِ القاتلة لزوجات الأب من أبناء ضرّاتهن والتي تصل أحياناً الى إزهاق الأرواح وعدم الإكتفاء بسوء المعاملة أو التعذيب ، فينالهن الخزى والعقوبة المعجّلة من الله في الدينا قبل الآخرة.
- أما في مجال التّجارة فحدّث ولا حرج ، يكون التّاجرُ في أوجِ شُهرتِه وسمعَتِه ورواج تجارته ، فيعمل على الطعن في التّاجر المنافس له

بالكذب والبُهتان وبشتى الأساليب ، فما يلبث أن يُداولَ اللهُ بينهما ويُغيّر من حال الطاغي والظالم الى حالٍ سيئةٍ ، تجعله عبرة للمعتبرين.

أمثلة آخــرى

- هناك من يتربّعُ عدة مرَّات على عرش رياضة مُعيّنة ، فيأخذه الزَّهو، ويُطلق التصريحات ، يتطاول بها على الآخرين باستهزاءٍ وينال منهم ظالماً لنفسه ومتعدياً على غيره ، فتجرى عليه سنة الله بتبديل حاله ، وتفوق رياضي آخر ليسلبه عرشه.

- وآخريات يبتليهن اللهُ بقسطٍ كبيرٍ من جمالٍ بالخلقةِ ، أورشاقةٍ بالجسمِ فبدلاً من التَّوجهِ الى اللهِ خالقهن ورازقهن بالحمد والشّكر، يَقُمن بالهمز واللّمز وربما بالسُّخرية مِمَنْ حُرمنْ الجَمال ورَّشاقة الجسم ، ليكون ذلك سبباً في انتقام الله منهن ، بزوال ذلك الجمال عنهن جزاءً وِفاقاً.
- نسمعُ مقولة (إرحموا عزيزَ قومٍ ذل) . هي في الحقيقة ترجمة صريحة للآية الكريمة التي نحن بصددها ، فكم رأينا على مرِّ التَّاريخ من أكاسرة وقياصرة وملوكٍ ورؤساءٍ آل بهم المآل الى نهاية مأساوية ، بعد القصور والمُلك والسلطة والحرس والخدم والحشم ، ويتبوأ غيرهم ملكهم وعروشهم !!

العــبرة

على كلّ منَّا إتخاذ العبرة وفَهم القَصد من هذه الآيةِ الكريمة ، أنه ليس أحدٌ بمنأى عن ابتلاءِ اللهِ تعالى له في الدنيا .. فليخشى الله ، فإن :

دوامُ الحالِ مِن المُحالِ

فمُداولةُ الأيّامِ وتعاقبُ الشِّدةِ والرَّخاءِ، محكٌ لا يُخطئ، وميزانٌ لا يَظلمْ.

بِشَـــارَة

من سُنن الله عزوجل أن يُمَكَّنُ للمغلوب مرة أخرى ، وذلك إذا رجع المغلوبُ الى اللهِ واستقام على شرعه لقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ﴾ ، وإذا طغي الغالبُ وتعدّي وظلم واستبدّ ، دَاولَ اللهُ الأيامَ بين الظالم والمظلوم بعدله فنصر المظلوم على ظالمه.

ولا يخفى على أحدٍ ما تكابده الأمة الاسلامية الآن من أحوالٍ سيئةٍ وأوضاعِ أبنائها المُذريةِ والمأساويةِ ، وقد تأسّدَ عليها أعداؤها من الشرق والغرب ينهشوها بلا رحمة ولا هوادة ، وصدق الله ﷻ القائل:﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾.

لقد بدأ الكثير من المسلمين الفَواق من غفلتهم وصار أغلبهم يلهجُ بالدعاء الى الله مما يعانيه من القهر والظلم والآلام .. فتلك بشارةٌ بأنْ ينظر الله إلينا فيرحمنا ويهدينا الى طريقه المستقيم ، لنكون أهلاً للتمكين بإذنه وما يحدث الآن إلا إرهاصات لهزيمةِ الأعداء بإهلاكِ وإضعافِ بعضهم البعض ثم تكون الغلبة للاسلام والمسلمين قريباً بإذن الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: « لا تقومُ الساعةُ حتى تُقتلَ فئتانِ عظيمتانِ دعواهما واحدةٌ » وأظن أن مُقاتلة الشرق للغرب يُطابقُ ذلك .. والله أعلم.

اخوكم في الله /

أبوالحسن الحناوى

فيينا في 28 من فبراير 2022